عوجاء

نعم[1] عوجاء ، شديدة العوج ، ملتوية شديدة الالتواء هذه الطريق التى تعلن إلى الناس أنك ستسلكها إلى الخير والإحسان ، وإلى البر والمعروف حتى إذا مضيت فيها تقطع الآماد والأشواط ، وتنهب الأرض نهبا ، تبين للناس أنك لا تسلكها إلى الخير والإحسان ، ولا إلى البر والمعروف ، وإنما تسلكها إلى الإذاعة عن نفسك ونشر الدعوة لما تحب أن يظن الناس بك ويرون فيك ، والتخييل إلى الناس أنك رفيق بهم على حين أنك رفيق بنفسك ، حريص على منفعتهم على حين أنك حريص على منفعة نفسك ، جاد فى خدمتهم على حين أنك جاد فى أن تخدعهم عن نفسك وتلهيهم عما كان يجب أن ينهضوا به من السعى إلى الخير والاجتهاد فى الإصلاح ، تخيل إليهم أنك ستقوم بذلك عنهم وستكفيهم مؤنته ومشقة الجد فيه والسعى إليه فإذا صدقوك واطمأنوا إليك وأولوك ما تطلب من ثقة ومنحوك ما تريد من تأييد ، أعرضت عنهم وعن آمالهم ، ولم تصنع لهم شيئا كأنك لم تعدهم بشيء وكأنك لم تعاهدهم على شيء .

---

(١) ٨ - ٨ - ١٩٣٣

نعم عوجاء شديدة الاعوجاج ، ملتوية شديدة الالتواء هذه الطريقه التى يسلكها بعض الناس ، يعلنون أنهم يبتغون بسلوكها وجه الله فإذا هم يمضون إلى مالا يلائم رضا الله ولا رضا الناس ، وإنما يلائم أغراضا غير واضحة وأعراضا غير بينة ، وأهواء أقل ما توصف به أنها لا تليق بكرام الناس

وما أكثر ما يسلك الناس هذه الطرق المعوجة ، وما أكثر ما يمضى الناس فى هذه السبل الملتوية إذا فسدت أمور الحياة العامة واضطرب رأى الناس فيها وتقديرهم لها وحكمهم عليها . هنالك يظهر المنتفعون والمنتهزون للفرص ، وهنالك يظهر العابثون واللاعبون بالعقول . وهنالك تصبح المنافع العامة خدعة من الخدع ، وتعلة من التعلات ووسيلة إلى تحقيق المآرب الخاصة وسببا إلى قضاء الحاجات . وهنالك يكثر الفساد ، ويزداد انتشارا ، وتعظم الأثرة وتشتد سيطرتها على القلوب والنفوس . وهنالك يضعف تقدير الناس للمنفعة العامة وتفكيرهم فيها ورعايتهم لحرمتها . وهنالك يصبح الناس فرديين ، لا يعنى كل واحد منهم إلا بنفسه ، يدفع عنها ما يستطيع دفعه من الشر ، ويجر إليها ما يستطيع جره من الخير . وهنالك يضعف الروح الوطنى وتنحل قوة التضامن ويصبح الناس وقد لهوا عن قوميتهم ، وشغلوا عن وحدتهم ، وأصبح كل طامع قادرا على أن يذلهم فيمعن فى إذلالهم ، ويستغلهم فيغرق فى استغلالهم ، ويسخرهم لما يريد دون أن يخشى رقيبا ولا حسيبا

هذه ظاهرة من ظواهر الحياة العامة فى كل بلد من البلاد يصاب بمثل هذه الأزمات السياسية والخلقية والاقتصادية التى تشقى مصر بها فى هذه الأيام .

وإنك لقادر على أن تشهد هذه الظاهرة وتحققها وتأسف أو لا تأسف حين تشهدها وتحققها فى كثير من أنحاء الحياة المصرية . فما أعظم الفرق بين ما يقول كثير من الناس وما يعملون . وما أبعد الأمد بين ما يظهر كثير من الناس وما يضمرون . كل الناس إذا تحدثت إليهم محب لمصر ، عطوف عليها ، رءوف بها ، مؤثر لها على نفسه . فإذا بلوت أعمال الناس فكثير منهم من يحب نفسه ويعطف عليها ، ويرأف بها ويؤثرها على كل شيء ، ويؤثرها على مصر قبل أن يؤثرها على أى شيء . ولولا انتشار هذا النوع من النفاق فى حياتنا الاجتماعية ، ولولا انتشار هذا النوع من الفرق بين ما يقول كثير من الناس وما يعملون لما شقيت مصر بهذه الحال السيئة التى تشقى بها منذ أعوام .

وكم نحب أن يبرأ فريق من المصريين ، فريق بعينه من حب هذه الطرق الملتوية العوجاء ، لأنها لا تلائم طبيعة مركزه ، ولا تلائم ما يريد الناس أن يروا فيه وان ينتظروا منه . كم نحب أن تكون طريق علماء الدين أبرأ الطرق من الاعوجاج ، وأبعد الطرق عن الالتواء ، وأقرب الطرق إلى الصدق والإخلاص والنصح لله وللمسلمين والملاءمة بين ما يسرون وما يعلنون ، وبين ما يعملون وما يقولون . هؤلاء علماء الدين قد سكتوا وسكنوا ، وأطالوا السكوت والسكون . فأنكر الناس عليهم ذلك . ثم قالوا ونشطوا وأكثروا القول وأمعنوا فى النشاط فحمد الناس لهم ذلك ولكن سكوتهم وسكونهم كانا يضران ويجلبان على الناس شرا كثيرا . فكان من حق الناس أن ينكروا ويلوموا ، وكان من حق الناس أن ينتظروا من قول

الشيوخ ونشاطهم خيرا كثيرا . فماذا أفاد الناس من قول الشيوخ حين قالوا ، ومن نشاط الشيوخ حين نشطوا ؟ لقد مضى شهر ونصف شهر منذ نهضت هيئة كبار العلماء تدعو إلى سبيل الله ، وتذود عن دين الله ، وفى هذا الشهر الذى مضى وفى نصف الشهر الذى تبعه اجتمع الشيوح واجتمعوا . وقال الشيوخ وقالوا ، وعمل الشيوخ وعملوا . ثم يتساءل المسلمون اليوم عن نتيجة هذا كله فيذكرون قول أبى العلاء حين أنشد لبعض شعراء الغرب الإسلامى ، وسئل عن رأيه فيما سمع فقال : كأنى أسمع رحى تطحن قرونا ، أى أنه كان يسمع جعجعة ولا يرى طحنا .

وكذلك يسمع المسلمون كلاما كثيرا من شيوح الأزهر ، ويرى المسلمون نشاطا عظيما من شيوخ الأزهر ، ولكنهم لا يظفرون من هذا الكلام الكثير ، ومن هذا النشاط العظيم بشىء يسير .

لقد علمت هيئة كبار العلماء أن المسلمين يفزعون إليها ويلحون فى الفزع لتجدّ فى إنقاذ هذه المرأة المسلمة التى تسمى نظلة غنيم والتى ما تزال لغير المسلمين عليها سبيل ، والتى لا تستطيع أحكام الله أن تنفذ فيها ، ولا أن تردها إلى أهلها ، ولا أن تصرف عنها المكروه ، لأن حكما من أحكام المجلس الملى الانجيلى يقوم دون أحكام القضاء الإسلامى فيعترض سبيلها ويحول بينها وبين النفاذ . تعلم هيئة كبار العلماء هذا كله وتسمعه فى كل يوم وتقرؤه فى كل يوم ، وهى تجتمع وتجتمع . فنحب أن نعلم ماذا فعلت لتنفذ أحكام الإسلام فى بلد من بلاد الإسلام مع أن هذه الأحكام لا تناقض الدستور ، ولا تخالف القانون ، ولا تعرض مصر لخطر من الأخطار .

نحب أن نعلم أى سعى سعت هيئة كبار العلماء عند الوزارة لتنفذ هذه الأحكام ، ولترعى هذه الحرمات وماذا أنتج هذا السعى عند الوزارة ، وبماذا لقيته ؟ أبالقبول أم بالاعتراض ؟ فإن تكن الأولى فما بال هذه الفتاة المسلمة لم ترد إلى أهلها المسلمين ؟ وإن تكن الثانية فما بال هيئة كبار العلماء لم تنكر ولم تحتج ولم تعلن إلى المسلمين عجزها عن حماية الإسلام ، وبراءة ذمتها من هذا العبء الذى نهضت به وهى لا تقدر عليه . والأمر أشد خطرا من أن يكتفى فيه بكلام يقال وصمت يطول . فلابد من أن يعلم المسلمون إلى أى حد كانت الوزارة جادة فيما وعدت به من حماية الإسلام ، وإلى أى حد كانت هيئة كبار العلماء جادة فيما أخذت نفسها به من الذود عن الإسلام .

زعموا أن مفاوضات تجرى بين الوزارة ودار المندوب السامى فى إصدار قانون ينظم مراقبة التبشير والمبشرين . وقد طلبنا إلى الوزارة ان تقول فى ذلك فلم تسمع لنا ولم تحفل بما طلبنا . فنحب أن نعلم : أيراد أن يظل أمر هذه الفتاة المسلمة الأسيرة معلقا موقوفا حتى يصدر هذا القانون ؟ ولعل بين مواده ونصوصه ما يجعلها خالصة للمبشرين . أم يراد أن يفصل فى أمر هذه الفتاة بما يرضى الله والقانون والدستور قبل أن يصدر هذا التشريع الجديد ؟ سؤال ينتظر جوابا وينتظر جوابا صريحا سريعا من هيئة كبار العلماء ومن لجنتها التنفيذية بوجه خاص ، ومن صاحبى الفضيلة شيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية بوجه أخص . فقد كثر الكلام فى هذا الموضوع وطال

الصمت . وقد اشتد الإلحاح فى هذا الموضوع وطال الإعراض وآن للناس أن يعرفوا أهم من أمر التبشير والمبشرين فى جد أم فى هزل ؟

هناك طريقان إحداهما واضحة مستقيمة وهى السعى الصريح فى إنفاذ أحكام الإسلام ، أو الإعلان الصريح للعجز عن ذلك .

والأخرى عوجاء ملتوية وهى المماطلة والمراوغة والإعراض والإغضاء ، وإكثار القول وإقلال العمل . وواضح أنا نحرص أشد الحرص ونتمنى ماوسعنا التمنى أن تسلك وزارتنا وشيوخنا تلك الطريق المستقيمة لأنا نكبر وزارتنا وشيوخنا عن التورط فى كل طريق ملتوية عوجاء .